

178842 - لِمَ ذَكَرْتَ آيَةَ الْقَذْفِ "النِّسَاءِ الْمُحْصَنَاتِ" وَلَمْ تَذَكَرِ الرِّجَالَ؟

السؤال

قرأت أن حد القذف واحد ، سواء كان المقذوف رجلاً أو امرأة ، أريد أن أعرف ما الحكمة إذا من ورود آيات القذف باللفظ المؤنث : "الذين يرمون المحصنات" ؟ ومن أين استنتجنا أن الحكم في قذف الرجل هو نفسه الحكم في قذف المرأة إذا كانت الآيات تكلمت فقط عن قذف النساء ؟ وجزاكم الله خيراً .

الإجابة المفصلة

أولاً :

قال الله تعالى : (وَالَّذِينَ يَزْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا
بِأَرْبَعَةِ شَهَدَاءَ فَأَجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا
لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْقَاسِقُونَ * إِلَّا الَّذِينَ
تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) النور/
4، 5 .

ذكرت الآية المحصنات من النساء ولم تذكر الرجال ، وقد أجمع العلماء على أن قذف الرجال داخل في حكم الآية .

قال ابن كثير رحمه الله :

" هذه الآية الكريمة فيها بيان حكم جلد القاذف للمحصنة ، وهي الحرة البالغة العفيفة ، فإذا كان المقذوف رجلاً فكذلك يجلد قاذفه أيضاً ، ليس في هذا نزاع بين العلماء " .
انتهى "تفسير ابن كثير" (6/ 13) .

ثانياً :

أما الجواب عن الآية في ذكر النساء فقط دون الرجال : فللعلماء عن ذلك أجوبة متعددة :

– فقيل : إنما ذكر النساء دون الرجال لأن قذفهن أكثر وأشنع .

قال ابن جزي رحمه الله :

" والمحصنات يراد بهن هنا العفاف من النساء ، وخصهن بالذكر لأن قذفهن أكثر وأشنع من قذف الرجال ، ودخل الرجال في ذلك بالمعنى ، إذ لا فرق بينهم ، وأجمع العلماء على

أن حكم الرجال والنساء هنا واحد " انتهى من "التسهيل" (ص 1214) .
وينظر: "فتح القدير" للشوكاني (4/ 11) و"تفسير الثعالبي" (3/ 109) .

– وقيل : المراد بالمحصنات

في الآية (الأنفس المحصنات) ؛ فتعم بذلك الرجال والنساء .

قال ابن حزم رحمه الله :

" قَالَ بَعْضُ أَصْحَابِنَا : بَلْ نَصَّ الْآيَةَ عَامًّا لِلرِّجَالِ

وَالنِّسَاءِ ، وَإِنَّمَا أَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى النُّفُوسَ الْمُحْصَنَاتِ ،

قَالُوا : وَبُرْهَانُ هَذَا الْقَوْلِ وَدَلِيلُ صِحَّتِهِ قَوْلُ اللَّهِ

تَعَالَى فِي مَكَانٍ آخَرَ (وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ) قَالُوا : فَلَوْ

كَانَتْ لَفِظَةٌ " الْمُحْصَنَاتُ " لَا تَقَعُ إِلَّا عَلَى النِّسَاءِ ، لَمَا

كَانَ لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى " مِنَ النِّسَاءِ " مَعْنَى ، وَحَاشَ لِلَّهِ

مِنْ هَذَا ، فَصَحَّ أَنَّ الْمُحْصَنَاتِ يَقَعُ عَلَى النِّسَاءِ وَالرِّجَالِ ،

فَبَيَّنَ اللَّهُ تَعَالَى مُرَادَهُ هُنَاكَ بِأَنَّ قَالَ " مِنَ النِّسَاءِ "

، وَأَجْمَلَ الْأَمْرَ فِي آيَةِ الْقَدْفِ إِجْمَالًا ، قَالَ ابن حزم رحمه الله :

وَهَذَا جَوَابٌ حَسَنٌ " .

انتهى من "المحلى" (228-12/227) .

وينظر: "الجامع لأحكام القرآن" للقرطبي (12/ 172) ، و"التسهيل" لابن جزي (ص 1214) .

– وقيل : تخصيص النساء هنا لخصوص الواقعة ، ومراعاة قصة كانت سبب نزول الآية ، ثم

يكون الحكم بالعلة الجامعة والمعنى المشترك الذي يمنع تخصيص النساء دون الرجال .

قال الألوسي رحمه الله :

" والظاهر أن المراد النساء المحصنات ، وعليه يكون ثبوت وجوب جلد رامي المحصن

بدلالة النص ، للقطع بإلغاء الفارق ، وهو صفة الأنوثة ، واستقلال دفع عار ما نسب

إليه بالتأثير ؛ بحيث لا يتوقف فهمه على ثبوت أهلية الاجتهاد ، وكذا ثبوت وجوب جلد

رامي المحصن أو المحصنة بتلك الدلالة ، وإلا فالذين يرمون للجمع المذكر ، وتخصيص

الذكور في جانب الرامي ، والإناث في جانب المرمي ، لخصوص الواقعة " انتهى .

"تفسير الألوسي" (13/ 327) . وينظر : "التحرير والتنوير" لابن عاشور (18/ 159) .

والله تعالى أعلم .

يراجع جواب السؤال رقم : (129774)